# فكاهات

## ما الحبُّ الا للحبيب الاول[1]

كان في انكلترا رجلٌ من الشرفآء الاغنيآء ماتت زوجتهُ من شدة حزنها على ولدٍ لها كان آيةً في النجابة والذكآء والادب فبقي عائشاً في قصرهِ المنفرد مع ولدهِ الاكبر واسمهُ روبرت . وكان هذا الشريف يقضي معظم السنة جائلاً في املاكهِ الواسعة منهمكاً بمشارفة اراضيهِ مشتغلاً بتحرير حساباتهِ . وكان ولدهُ روبرت يقضي ايامهُ في درس الطبّ والهندسة على ايدي اساتذة استحضرهم اليهِ وعندما يملّ الدرس ويتعب فكرهُ من مواصلة الاطلاع والبحث يعكف على الصيد والقنص وركوب الخيل ومغازلة الحسان واقامة المراقص

وكان في القرية مكتبٌ تلغرافيٌّ قيّمتهُ فتاةٌ تدعى أليس بديعة المحاسن رشيقة القوام تغزل عيناها سحراً حلالاً وهي ساكنة مع والدتها الشيخة تنفق عليها وعلى نفسها من راتبها الطفيف . وكانت ذات سيرة نزيهة فلا يتعرض لها فتىً من الفتيان بكلمة بارزة عن ظلّ الادب . وكان اهل البلدة كلهم يحبونها ويحترمونها لظرفها وعفافها وفي عدادهم الفتى روبرت فانهُ كان كلما اتى المكتب لشرآء طابع بريد او لتسليم رسالة برقية يحييها بلطف

(١) معربة عن الانكليزية بقلم خليل افندي الجاويش احد منشئي جريدة الاهرام

وبشاشة ويستلم الطابع او يسلم الرسالة ويمضي لشأنه . فمالت اليه الفتاة لما رأت من ظرفه ومحاسنهِ وشنف قلبها بحبهِ فكان كلما أتى وسلمها رسالة او ابتاع طابعاً ولمس بنانهُ بنانها تشعر بان تياراً كهربآئيًا قد تخلل جسمها وتغلغل في جوارحها فلا تلبث بعد ذهابه أن تجلس على كرسيّها وطرفها شاخص وقلبها خافق وفكرها سابح في لجج العواطف الحبية والوجدانات النفسانية التي لا يقدر قلم الفيلسوف على وصفها وشرح معانيها لانها من ورآء هذا العالم ومن ولاية العالم الثاني

ورأى روبرت من انس الفتاة وميلها ما جرّأهُ على محادثتها فكان بعد ذلك اذا دخل محلها قضى معها وقتاً طويلا في المحادثة والمغازلة الى ان اخذ سحر عينيها من فؤادهِ وخلبتهُ بلطف كلامها وحسن آدابها فكان عندهُ من الوجد بها اكثر مما عندها من الوجد به وتمكنت العلاقة بين الصاحبين حتى لم يعد احدهما يصبر عن الآخر . وكان لا يمرّ به يومٌ حتى يزورها فيجلس اليها ويتطارحان اطراف الاحاديث الا انهُ لم يجترئ على ان يبوح لها بما في صدرهِ ولا يصرّح لها بامرٍ مستقبل لئلا يخطرّ الى الاخلاف معها فاكتفى بالزيارة والحديث وفي نفسه ان يذاكر والدهُ في امرها حتى اذا اذن لهُ في الاقتران بها كاشفها بما يروم

وفي ذات يومٍ فاتح الوالد ولدهُ في امر الزواج فقال لهُ يا ولدي انت ترى انني قد طعنت في السن وحان اجل مفارقتي لهذه الدنيا ولكنني أُحبّ قبل مفارقتها أن اراك متزوجاً عائشاً مع زوجتك بغبطةٍ ونعيم واني قد اصطفيت لك عروساً من اقاربنا هي الفتاة اليصابات التي تعرف جمالها ولطف اخلاقها

وحسن تربيتها . فشعر الفتى كأَن صاعقةَ نزلت على قمة رأسهِ عند ما سمع هذا الاسم من والدهِ فشكر والدهُ على ذلك ثم قال لهُ لكن ليأذن لي سيدي ان اذكر لهُ فتاةً هي في المنزلة الاولى من التهذيب والادب وجمال الخُلق والخلق وهي التي تعلق فؤادي بها وارجو ان لا يحرمني العيش معها ويلزمني الاقتران بمن لا اميل اليها ولا مكان لها في فؤادي . فقال لهُ والدهُ ومن تكون تلك الفتاة . فذكر لهُ أليس . فلما سمع والدهُ ذلك استشاط عليهِ غضباً وقال لهُ ان شريفاً مثلك تسلسل من بيت كرامةٍ ووجاهة وحسبٍ رفيع لا يجوز ان يتزوّج بفتاةٍ وضيعة الاصل دنيئة النسب كتلك الفتاة التي تُعَدّ من سوقة الناس وعامة الامة فاذا عمدت الى اتخاذها زوجةً لك عددتك عاصياً عقوقاً وحرمتك تركتي كلها . فلما رأى روبرت هذا الإِباء من والدهِ وكان هو مطبوعاً على طاعة والديهِ منذ صغره انقاد لمشورة والدهِ ورضي ان يتزوّج بنسيبتهِ ثم عُقد القران في حفلة رقصت لها جوانب البلدة اياماً

وبعد سنةٍ توفي الوالد قرير العين ناعم البال . وباتت أليس والنار ترعى فؤادها المعنّى بحب الفتى فكانت تغدو وتمسي وهي منقبضة الصدر تحسب الدنيا كلها سجناً مظلماً والحياة عذاباً واصباً وكان يزيد لوعتها وشقآءها رسائل برقية تروح وتجيء الى قصرهِ حاملةَ صنوف الاخبار والانبآء وقلما خلا تلغراف من توقيع روبرت فكان هذا التوقيع يفعل في فؤادها فعل النار بالحطب وكانهُ لم يكفها أن حُرمت حبيبها حتى تعذبها صناعتها بقرآءة رسائلهِ واسرارهِ واضرام نيران التذكار في فؤادها على الدوام

وحدث بعد ثلاث سنوات من زواج روبرت أن زوجتهُ الشريفة الاديبة على قول المرحوم والدهِ عشقت شاباً من اهل البلدة فكان ينتهز فرصة غياب الزوج ويتسلل الى القصر فيقضي مع عشيقتهِ ساعات طوالا. وعلمت أليس بالامر فزاد كربها واشتدت آلام نفسها وحاولت مراراً ان تفضي بالسرّ الى روبرت ولكن منعها الحيآء والادب فعصبت جرحها وصممت على الكتمان . وفي مسآء ذات يومٍ بينما كانت جالسةً امام آلة التلغراف وافكارها مشرّدة اذ قُرعت الآلة وخطت على الشريط هذه العبارة

« انا عائدٌ في الساعة الثامنة من هذا المسآء فارسلوا مركبةً الى المحطة تنقلني الى القصر روبرت »

فعند ما وقع بصر الفتاة على هذه الرسالة وكانت عالمة ان العشيق قد اغتنم الفرصة وسار الى القصر ألهمتها غيرتها على حبيبها أن تؤخر ايصال الرسالة حتى لا يُعلَم بمجيئهِ او ان لا توصلها اصلاً فاذا وصل روبرت الى المحطة ولم يجد فيها مركبةً من مركبات القصر سار اليهِ ماشياً وباغت العشيقين الاثيمين فانزل بهما العقاب الذي يستحقانهِ وخلص من عار تلك الخيانة ... على انها ترددت في الامر بادئ بدءٍ وتنازعتها عوامل شتى من تبكيت الضمير وخامرها خوفٌ شديد من الاقدام على عمل ربما ذهب بارواح ثلاثة وما زالت مترجحةً بين عامل الانتقام لشرف حبيبها وعامل الخوف عليهِ والتلغراف في يدها تقلّبهُ بين اصابعها حتى غلب على رأيها ان لا ترسلهُ فمزّقتهُ واخفت أثرهُ

ولما كانت الساعة الثامنة وصل روبرت ولم يرَ مركبة تنتظرهُ في

المحطة فسار الى القصر ماشياً وصعد توًّا الى مخدع حليلتهِ فرأى العاشق جالساً اليها يقبّلها وتقبلهُ وأمامهما زجاجة من الوسكي فتناول مسدّساً كان يحملهُ في اسفارهِ وهو غائبٌ عن رشدهِ وافرغ عياراً منهُ على العاشق وعياراً آخر على الزوجة الخائنة فاصاب الاول في دماغهِ والثانية في فؤادها المفعم خيانةً وغدراً فخرّا صريعين مضرّجين بدمآئهما. ثم اسرع الى خزانتهِ فأخذ منها كل ما كان فيها من الجواهر والنقود والاوراق المالية ووضعها في حقيبة وعاد الى المحطة وسافر الى ليفربول وركب سفينة اميركية ذاهبة الى نيويرك وكانت على أُهبة السفر فراحت تمخر العباب بهِ وفي قلبهِ نارٌ احرّ من نارها وفي رأسهِ بخارٌ اكثف من بخارها

. . . . . .

وفي صباح اليوم التالي ترامى الخبر الى الحكومة فاتى رجالها الى القصر وضبطوا الواقعة وأذنوا في دفن القتيلين واستنطقوا الخدم فوجدوا شهادتهم متناصرةً على اثبات الخيانة من جهة الزوجة فحفظوا اوراق تلك الشهادات لاعتبارهم أن للزوج كمال الحق في الانتقام لعرضهِ وشرفهِ بقتل العشيقين المجرمين . وقد كان روبرت يعلم ان لا اثم عليهِ ولا حرج فيما فعلهُ غير انهُ اراد الابتعاد مدة من الزمن ريثما تُتناسى الحادثة ويعفو اثرها فيعود الى وطنهِ ولكنهُ لم يكن يدري ان القدر خبأ لهُ خطباً جديداً في سبيل حبهِ لأليس

وبيان ذلك انهُ عند ما بلغ نيويرك كتب الى حبيبتهِ يخبرها بانهُ ذاهبٌ الى بلدة بحرية باميركا الجنوبية سمّاها لها فاستقالت من خدمتها

ولقت به مع والدتها واقام الثلاثة في منزلٍ واحد وشارك روبرت احد اصحاب المناجم الذهبية فانفتح لهُ باب ثروةٍ جديد . وكان في البلدة المشار اليها فتىً اسبانيوليٌّ جميل الصورة حسن الصوت حاذق في الضرب على القيثارة ولكن علائم الغدر والمكر مرتسمةٌ على ملامحه فتعرف بروبرت وجعل يزورهُ في منزله ويأتي بقيثارته في غالب الليالي ويضرب عليها ويغني فتطرب الفتاة لالحان قيثارته وانغام حنجرته فتوهم انها تحبهُ شأن كل فتى مطرب الصوت يظن ان كل النسآء تتعشقهُ لصوته ولو كان اقبح من المُعيدي . ثم انهُ لم يكتف بهذا الوهم الباطل والاعتقاد الفائل بل صار يحسب روبرت مزاحماً لهُ في الفتاة فكان يغار منهُ اذا كلمها ويصفرّ اذا تبسّم في وجهها ثم استحالت هذه الغيرة حقداً وضغينة وميلا شديداً الى الفتاك بمناظره ليتخلص منهُ

وفي ذات ليلةٍ بهيجة طلع قمرها على المحيط فحوّل مياههُ لجيناً وتبراً اتى الاسبانيوليُّ ومعهُ قيثارتهُ وجلس على الرمل واندفع يضرب ويغني واهل البيت جالسون في شرفة تطلّ على البحر قرب مكان الفتى وكأن حبهُ للفتاة زاد صوتهُ حلاوة ورقة فكان ينشد اناشيد غرامية واناملهُ تجيد الضرب والتلحين وعيناهُ لا تفارقان وجه الفتاة لحظة عين . ولما رآها غير مبالية به وان تكن ملتذّة بانغامه اخذ يرمي الفتى روبرت بنظرات تشفّ عن الكراهية والبغضآء وحب الانتقام ثم ترك الضرب على حين بغتة وقطع انشودتهُ ايضاً وأبدلها بانشودة حماسية حربية من اناشيد الاسبانيول الشهيرة وصار منظرهُ مخيفاً وعيناهُ السوداوان تقدحان شرراً في وجه

روبرت ثم قفز كالنمر وحيّا الجماعة بصوتٍ اجشّ وسار في سبيلهِ . فالتفتت أليس الى روبرت وقالت لهُ لقد تولّد فيّ خوفٌ شديد من هذا الرجل واني احذرك منهُ يا روبرت فهو شرّيرٌ مخاتل وقد سبق لهُ معي منذ ايام حديثٌ استدلات منهُ على انهُ يبغضك من اجلي لانهُ لمح انني احبك ولا احفل بهِ فنحن في غنىً عنهُ وعن قيثارتهِ وصوتهِ فضحك روبرت ساخراً من كلامها

وبعد بضعة اسابيع التقى روبرت بالاسبانيولي في نحو الساعة التاسعة ليلاً فدنا منهُ هذا وهو يبتسم وحياهُ تحية عدوٍّ في ثياب صديق ثم قال لهُ هلمَّ بنا الى منزلي في ظاهر البلدة نصرف ساعةً من الزمن اتمتع فيها بمرآك واسمعك شيئاً جديداً من ضربي وانشادي . فطاوعهُ روبرت وصحبهُ الى بيتهِ الواقع ورآء تلالٍ تشرف على البلدة وكان الليل حالكاً والهوآء بارداً ولم يكن في المنزل خادمٌ ولا خادمة كانهُ صومعة راهب متنسك . فانار الاسبانيولي مصباحاً ودخل برفيقهِ الى غرفةٍ واسعة قليلة الاثاث وعلى احد جدرانها ستارةٌ سوداء ودعاهُ الى الجلوس ثم قدم لهُ كاساً من المرطبات وناولهُ لفيفة ( سيجارة ) من لفائف البرازيل الغليظة وتناول قيثارتهُ وجعل يضرب عليها وينشد انشاداً يسكر السمع ويذهل اللبّ فلم يلبث روبرت أن دار دماغهُ في جمجمتهِ دوران الرحى ثم اغمض عينيهِ ونام ولم يفق الا بعد ساعة فرأى نفسهُ جالساً على مقعدٍ عالٍ لاصقٍ بالجدار الذي عليهِ الستارة ويداهُ مكتوفتان ورآء ظهرهِ وعنقهُ ووسطهُ مشدودان الى الجدار بسلسلة متينة ورجلاهُ مثبتتان في الكرسي ومختصر القول انهُ لا يقدر على

اتيان حركة كانهُ تمثالٌ او موميا ورأى الاسبانيولي جالساً امامهُ والقيثارة بيدهِ وسحنتهُ مقلوبة تخيف اسد الغاب وهو ينظر الى روبرت متبسماً تبسم الانتصار والشماتة . فصاح بهِ روبرت ما الذي فعلتهُ بي ايها الخائن الغادر فاجاب ان الامر بسيط وهو اني اردت الانتقام منك ومن الفتاة التي احبتك دوني ولكن لما كنت اقوى مني جسماً نصبت لك هذا الشرك فاعطيتك لفيفة فيها افيون لأُغيبك بها عن الادراك ثم رفعتك باحترام الى هذا الكرسي الطويل وقيدتك بسلاسل كانت مخبوءة وراء الستار . ثم رفع ستاراً آخر عن المائدة التي في وسط الغرفة تجاه « عرش » روبرت فظهر عليها مدفع صغير من النحاس الاصفر وامام المدفع مرآة من المرآئي المقعرة ثم قال لروبرت اما هذه المرآة فهي محكمة الوضع بحيث انهُ عند ما يأتي وقت الظهر ينصبّ مجموع اشعة الشمس كالسهم امام مركز المرآة فيحرق فتيلة المدفع فينطلق وانت ادرى بما يحدث اذ ذاك وان لم تكن تدري فان عندك وقتاً طويلاً تفسر فيهِ لنفسك هذه القضية العلمية التي سيقع حلها عليك . وهذا المنزل منفردٌ لا يدنو منهُ احدٌ فهما صرخت واستغثت لا تجد سميعاً او مغيثاً واما انا فمسافرٌ من البلدة بعد ساعتين وسابعث قبل سفري برسالة الى السيدة أليس تصل اليها بُعَيد الساعة الثانية عشرة اكلفها فيها ان تأتي الى هنا لتتمتع بمرآك ...

ثم جلس الى المائدة وكتب الرسالة وروبرت ينظر اليه ولو كان مطلقاً لقطعهُ واطعم لحمهُ للكلاب . وبعد ان كتبها ووضعها في غلاف كتب عليهِ عنوان الفتاة اخذ قيثارتهُ وقال لروبرت اني لا اريد ان افارقك قبل

ان اشنف سمعك بانشودة اخرى وانشدهُ نغماً مفعماً بكلمات التشفي والانتقام ثم نهض مزمجراً وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل واخذ ساعة روبرت ووضعها امام عينيهِ على المائدة ليعرف الوقت الذي تكون فيهِ منيتهُ على هذه الصورة وودعهُ وخرج. فجعل روبرت يشهق وينتحب ويحاول الخلاص من سلاسلهِ فلا يقدر او التزحزح من الجهة المقابلة لفوّهة المدفع فلا يستطيع وكلما مضت ساعة زاد عذابهُ واشتدّ رعبهُ . ولما كانت الساعة الحادية عشرة من الصباح رأى اشعة الشمس واقعةً على المرآة فاقام ينتظر الموت بين لحظةٍ واخرى وبعد ربع ساعة رأى الغرفة تظلم شيئاً بعد شيءٍ حتى اذا لم يبقَ الا ربع ساعة الى الظهر اشتد الظلام حتى صار كالليل فدهش وكاد عقلهُ يطير ثم طفق يتأمل ويعمل الفكرة فتذكر ان ذاك اليوم كان موعد كسوف الشمس وايقن ان الله قد غالط ذلك الغدّار في حسابهِ فاطمأن قلبهُ ولم تعد الشمس الى نورها الا بعد ان مالت عن خط الظهر بكثير فحمد الله على خلاصهِ من تلك الميتة الشنيعة

وفي الساعة الثانية ملأ نور الشمس جوانب الغرفة وكان روبرت قد اوشك ان يجمد دمهُ من شدة ما عاناهُ من العذاب والآلام واذا بباب الحجرة قد انفتح ودخلت أليس مع والدتها فوجدتهُ على هذه الحالة فدعت حداداً فقطع قيودهُ وسار الثلاثة الى المنزل يحمدون المولى على هذه النجاة العجيبة

وبعد شهر سافروا الى انكلترا واستقرّ روبرت في قصرهِ واقترن بالفتاة وعاشا عيشة رغدٍ وهناء ولسان حالهما يقول « ما الحبُّ الا للحبيب الاولِ »